1989-0925-0002-2

صورٌ مهرّبة

إلى عدنان حلواني
في ذكرى غيابه السابعة

بقلم: أحمد غسّان

كانت وجوههم محقونة بحقد سنوات طويلة... ينتظرونك عند حافة هزيمتهم.. قراصنة الجحيم!.. يتفرسون قسمات وجهك بسهام عيونهم الصدئة.. ويزفرون أفاعيهم من صدور حبلى بظلام مخيف، كلما هممت شطرهم بغضبك الخصب!..

هكذا كانوا، في ايلولهم الاسود ذاك، سيوف الايادي نفسها التي اضرمت المدينة لتقطع نسل الثورة فيها، وتقصف القامات المنتصبة كسنديان النهر، وتُسْقِطَ.. تسقط الرايات التي زرعتَها، في أيلولك أنت، خفاقة فوق ابراج المدينة!..

هكذا ارادوا أن يضعوا بينك وبين رفاقك وأحبتك واصدقائق حاجز الزمن المحصّن بأوهام اليأس والهزيمة. أرادو أن يباعدوا بينك وبيننا، حتى نفزع إليهم صاغرين، مرتعشين كأوراق الخريف!..

... وهكذا تساقطت الايادي التي مُدَّت إلى معصميك، وبقي اسمك مفتاح عبور الى وطن حر!...

واليوم.. وبعد سنوات سبع على غيابك يحضرنا وجهك مع الصباحات النائيات، ومع كل شرارات الضوء التي تقدح عاليا في سماء المدينة... اليوم وإن كنا نأكل لحمنا وأعصابنا عند محطات حروب العبث والعدم، ونتنفس من زفير افواهنا الجافة، كلما ضاقت علينا الامكنة وضُربنا بجدران الصمت السوداء... اليوم ونحن نكاد نغرق في دم المدينة النازف من شرفاتها، وتلحسنا ألسنة النار كمبرد خشن يوماً بعد يوم... اليوم اليوم. لا نزال نهرّب صورتك الى ساحات المدينة، في الليل، نُصُباً تضيئها الأجيال القادمة... ولا نزال ننشر اجسادنا على صدور روابي ترابنا المغتصب وفي احضان وديانه الدافئة، ونشعل ايدينا شموعاً نطوف بها بين جيوش الظلام الراجفة من كل حدب وناحية!..

الآن، وانا اشعل بخور ذكراك السابعة، تتشكل صورتك في امواج الدخان المتراقص على مرآة عينيّ، فابتدعك من جديد، بوجه غطّاه غبار معدني، وقامة منتصبة بشدائد الصبر. وأرائي اجمع رائحة تعبك، لأنشرها فوق سطوح المدنية المتنقلة بالرماد!...

الآن تنمو صورتك وردة مجنونة لتغدو بحجم عينيّ وفضاءات المدينة.. الآن تجلو صورتك الفضية عيوننا المرتمية على اطراف هذا الليل، فنصغي على نبض جدرانك الضيقة، وننتظر هبوب ايلولك القادم!..

على المدينة تنصب ضلوعها لنبض جديد!..